

الأقسام في القرآن

(81) الكتاب المكنون إلا المطهرون، وربما يوَد هذا الوجه بأن الآية سيقَّت تنزيهاً للقرآن من أن ينزل به الشياطين، وانَّ محله لا يصل إليه، فلا يمسه إلا المطهرون، فيستحيل على أخا بَث خلق اللّٰه وأنجسهم أن يصلوا إليه أو يمسه، قال تعالى: (وَمَا تَنْزِيلُ لِّلَّهِ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْذِبُ بَغْيٍ لَهُمْ * وَمَا يَسْتَكْبِرُونَ) . (1) د: (تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وهذا هو الذي يركِّز عليه القرآن في مواقف مختلفة، وانَّه كتاب اللّٰه وليس من صنع البشر. وأمّا الصلة بين القسم والمقسم به: فهو واضح، فلانَّ النجوم بمواقعها أي طلوعها وغروبها يهتدي بها البشر في ظلمات البر والبحر، والقرآن الكريم كذلك يهتدي به الإنسان في ظلمات الجهل والغي، فالنجوم مصابيح حسّية في عالم المادة كما أن آيات القرآن مصابيح معنوية في عالم المجردات. إكمال إنَّه سبحانه قال: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) فالمراد منه القسم بلا شك، بشهادة إنَّه قال بعده: (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَوِّ تَعْلَامُونَ عَظِيمٌ) فلو كان معنى الآية هو نفي القسم فلا يناسب ما بعده حيث يصفه بأنَّه حلف عظيم، وقد اختلف المفسرون في هذه الآيات ونظائرها، إلى أقوال: 1. "لا" زائدة، مثلها قوله سبحانه: (لئلاَّ يَعْزِلَ) . 2. أصلها لا قسم بلام التأكيد، فلمّا أشبعت فتحتها صارت "لا" كما في الوقف. 3. لا نافية بمعنى نفي المعنى الموجود في ذهن المخاطب، ثمَّ الابتداء _____ 1 - الشعراء: 210-211.